صحيفة الأولاد

مثال الجد

بقلم المربية الفاضلة صاحبة التوقيع

آه يا رباه : انتبذني من الوهدة التي رماني بها أهلي ، حقاً انهم ظالمون ، فما أحب نومة الصباح عندي غير أن أمي تحرمني إياها باتيانها عندي الساعة السادسة ونصف لايقاظي قائلة : انهض يا ولدي للمدرسة ، أستيقظ مرعوبا لذلك الاسم الذي تهتز له فرائصي : فأجيبها على الفور : بعد برهة ، تعود بعد مدة وجيزة وتوقظني فأنهض من فراشي قائلا : محق الله المدارس فاني أكرهها ولا أريد أن أتعلم أبداً وأحب ساعات عندي هي التي أنام في خلالها وأذهب من عقلي وساوس المدرسة

تقول أمي : اجتهد يا ولدي إذ لا أحد لك في المستقبل سوى علمك الذي يرفع شأنك ومدرك بين الناس ، ومن عرق جبينك تأكل خبزك

فأجيبها : (طيب طيب هاتي ثيابي لألبسها) . فتقول أمي أغسل وجهك أولا . حسناً : اذهب وأغسل وجهي وارتدي ثيابي وأجلس لتناول غذاء الصباح . لينك تراني أيها القاريء وأنا ألعب بما أمامي من غذاء لأستغرق في الاكل زمنا أتأخر في خلاله عن الحضور للمدرسة واستريح من حصتين لا أرى في خلالها معلمي القاسي . ولكن الحبس المدرسي بعد ذلك لابد منه . فأذهب الى المدرسة متأبطا كتبي متباطئا في السير أدخل فرقتي بعد استئذان أستاذي وبعد ذلك يبادرني بالسؤال : لمَ تأخرت ؟ انتحلت لذلك عذرا وهو ضياع قلمي ولقد عرجت على دكان لأشتري بدله فيصدق معلمي ذلك وابتسم لانطلاء تلك الحيلة عليه . تخلصت من المعلم ولكني لم أتخلص من تبكيت الضمير . يأتي دوري للتسميع فلا انتبه إلا على صوت ينادي فأجيب على الفور بصوت مرتفع (هَ) فيقول المعلم : اقرأ درسك . أنظر في الصف بمنة وبسرة ولتلك النظرة معنى بليغ (ساعدوني اذا أخطأت) ولكن صوت معلمي قد

أنساني الصفحة التي سأصمم ما عليها لأنه بمناداته سقط كتابي من يدي . أقف صامتا ولكن التلاميذ ساعهم الله يلبون طلبي فيرتفع الضجيج فيعلم المعلم حقيقة الأمر فيتقدم مني ويصفعني صفعة يطير لها لبي ويقول : اذهب وقف في تلك الزكنة فهذا خير مقر لك أيها الكسلان وستحرم من ساعات اللعب لتحفظ درسك . أذهب الى البيت متأخراً فتسألني أمي عن سبب ذلك فتارة أقول كنا نلعب بكرة القدم وطوراً بالعاب مدرسية اخ وتنطلي عليها تلك الحيل . مضى عليّ عشر سنوات وأنا سائر على هذا المنوال أتحمل الأعذار لتأخري سواء أكان عن المدرسة أم عن المنزل .

ذهبت وانا في سن العاشرة الى حديقة غناء لأروح عن نفسي ما صادفها في المدرسة من عناء فما دخلتها حتى سرى عني هم المدرسة . خلب الربيع لبي فقد غطى تلك الحديقة بساط سندسي قشيب وألبس الاشجار الباسقة ثوب الخضرة بعد أن صبرت على العرى كل فصل الشتاء وقربت الشمس من الغروب . وما أجمل أشعتها التي كانت تتخلل تلك الاشجار منعكسة على المياه المتسلسلة كالمجين وانتعش فؤادي بأريج الازهار . المتغرسة في أحواض مقسمة تقسيما هندسيا تبرهن على جليل صنع الخالق سبحانه وتعالى فوقفت واجما أمام تلك المناظر التي لم يعكر روعتها إلا طنين يطن في أذني

آه يا إلهي فلا بد من أن يصادفني شيء يعكر صفائي . يزداد ذلك الطنين فالتفت لمصدره واذا بجسم صغير يقترب من أذني هامسا (أنا حشرة) ثم يبتعد

ضحكت لذلك الاسم الذي سمعته في المدرسة من معلمي وقص لنا عنه أشياء جمة ولكن من هو مثلي مغرم باللعب لا يعير سماعه لمثل تلك الاشياء التافهة في نظري

وهل تتكلمين أيتها الحشرة ؟ نعم أتكلم باشارات لا يفهمها إلا المتعم نظره حتى بصغائر الامور . كلميني : وهل تعدني بأن تسمع نصيحتي ؟ هذا مما لاشك فيه لاني أحببت شكلك أيتها المخلوقة الناطقة بأعمالها كما تقول فما اسمك ؟ اسمي (نحلة) ها اني أتذكر ذلك الاسم من والدتي لما كانت توقظني قائلة : قم وانظر النحلة ولتتخذها خير مثال للجد والنشاط . حدثيني وها انا كلي آذان صاغية لما ستلقينه عليّ آمل منك ذلك فاسمع : أنا مخلوقة صغيرة أعيش مع جماعة مثلي كل منا تقوم بعمل

خاص بها ولقد قسمنا الله الى ثلاثة أجناس : الملكة (اليعسوب) الذكر . والعملة . وهل أنت الملكة ؟ أنا فرد من العملة . وكيف تكون الملكة ؟ الملكة طويلة المؤخر وذلك لاستعدادها لوضع البيض اذ تضع في اليوم نحو ألفي بيضة ولا تخرج من الخلية الا نادراً اذ تطير مع الذكر مرة أو مرتين للاخصاب ، ثم تدخل الخلية وتبدأ بوضع البيض . وهل هذا عملها فقط ؟ لا يابني فأنّ تلك ما تتمنى ، وظيفتها أيضاً القيام بأمر الخلية فهي تحمل في العمال والصناع والجنود عبء السيطرة . فتجند الجيوش لحراسة الخلية والمدافعة عنها عند أي اعتداء ولها حرس ملكي مؤلف من اثني عشرة عاملة يرافقنها أينما تذهب ، فهي الآمرة ونحن المطيعات . اذاً أنت خادمة ؟ فما أحقر وظيفتك ! قلت لك اصغ . نحن معشر العمال هيئات مقسمات الى عدة أقسام فمنا من تجند للحرب التي ربما ثارت بيننا وبين أعدائنا يوماً ما . فلا عمل لها سوى حراسة الخلية والمدافعة عنها . وهلا تجل الجندي أيها الولد الذي يدافع عن وطنك ويحرسه من الأخطار ويعرض نفسه للموت في سبيل سلامتك ؟ هذا مما لاشك فيه اذا كان يفعل ذلك في سبيلي . وكذلك نحن نجل الجند كما هم يجلوننا نحن العمال . فانا نطير طول النهار من زهرة لأخرى للحصول على رحيقها بلساننا وأثناء ذلك يعلق طلع الازهار بالشعور التي تغطي صدورنا وأرجلنا ولما نصل الخلية نمزج الطلع بالرحيق ونعمل منه خبزاً نغذي به اليرقات وهذا القسم من النحل يسمى المربيات فهي التي تعتني بالبيض ومتى فقس تأخذ بتربية الصغار كما ذكرت لك ومتى لفت اليرقة جسمها بالخيط الحريري الذي تفرزه من فمها تعمل لها شرنقة تبقى في داخلها أربعة عشر يوما تأخذها المربيات الى عيون في الخلية خاصة لذلك ثم تعلق عليها حتى تنقضي تلك المدة وتكون في خلالها عذراء لا تأكل شيئا ومن ينظر اليها يظنها جثة اذ لا حراك بها البتة ثم تخرج نحلة مثلي فتتغذيها المربيات حتى تصبح قادرة على القيام بأمرها وبالوظيفة التي ستعطى لها

انفتحت قريحتي لتلك الاعمال الجليلة التي تقوم بها تلك المخلوقة الصغيرة فقلت: ومن صنع تلك الخلية . وكيف ؟

ألم أقل لك اصبر قليلا ؟ في مؤخر جسمنا توجد ثقوب يفيض منها الشمع على

هيئة قشور نزيلها بأرجلنا الخلفية ونصنع منها بقرينتنا اللذين هما لنا بمثابة اليدين لكم وأرجلنا الامامية تلك العيون على اشكال سداسية متساوية

حسنا بعد أن يخلي النحل تلك العيون ماذا تصنعون بها؟ انك لثرثار

لماذا تتكدرين مني أيتها النحلة اذ يجب أن تسري من أسئلتي لان معلمنا في الغرفة يسر من ذلك ولم أكن كذلك من قبل ولكن اللذة التي أجدها في حديثك الآن تبعث فيّ هذه الرغبة؟ اذاً ليكون لك ما تشاء: ذكرت لك اننا نطير من زهرة لأخرى للحصول على الرحيق بلساننا فندخله في غدد الشهد حيث يتحول عسلا نتغذى ببعضه ونخزن البعض الآخر لفصل الشتاء حيث تنعدم الزهور كما تفعلون انتم.

لم تذكري لي شيئاً عن ذكوركم. ذكورنا عضو أشل في مملكتنا المنحلة للجد والنشاط اذ يقضي الذكر نهاره طائراً من زهرة لأخرى يشمس نفسه ثم يذهب للخلية فتقدم له العملة الغذاء فيتناوله ويذهب فركن بعيد عن الضوضاء والجلبة فينام ولكن عيشة الرخاء والراحة لا تدوم طويلا. اذ تأمر مليكتنا المحبوبة الجلادة باعدام الذكور فتؤدي هذا العمل الذكور الضخمة الجسم الصغيرة العقل التي تعتمد علينا في تغذيتها ولا يدوم مخلوق الا ما عمله ومن أين نأتي لها بالغذاء وقد انقضى فصل الربيع فصل اليقظة فصل الحياة وأقبل فصل الشتاء القاحل وكفانا بوجودها تلك المدة عناء.

وهل الذكور كثيرة؟ في الخلية بعض مئات من الذكور وعشرات الالوف من العمال ويعسوب واحد. ألا ترى ما تؤديه تلك العاملة من الاعمال العظيمة فاذا أصيبت بعطل يحكم عليها بالاعدام مهما كان سببه. اذكروا أعمالها التي عددتها لكم؟ أقول لك مملكتنا لا ترتضي بالاعضاء المشلولة فلا تبلغ ذرى المجد أيها المخلوق الا بأعمال فكرك وجسمك معا. أظن أنتم معشر النحل الذي قال فيكم الشاعر البليغ شوقي بك أمير الشعراء ما يأتي:

مملكة مديرة بامرأة مؤمرة
تحمل في العمل والصنا ع عبء السيطرة
مخلوقة ضعيفة من خلق مصورة

يا ما أقل ملكها يا ما أجل خطره
قف سائل النحل به بأي عقل صوّره
تنبيك بالاخلاق وهي للعقول جوهره
ويرفع الله بها من شاء حتى الحشره

نعم نحن أصحاب الجد والاجتهاد نحن الذين مدحنا ذلك الشاعر وغيره من أولي الالباب

أعدك ايتها المخلوقة أن اكون من الآن فصاعداً من المجدين في فرقي لأحوز على مدح معلمي وأنال من معلوماته الغزيرة قسطا وافرا اغذي به عقلي واهذب به روحي ونفسي حتى أرفع وطني الى اوج المجد فلا أكون عضواً أشل في الهيئة الاجتماعية فودعها وذهب

وفي اليوم الثاني نهض من فراشه مبكراً وغسل وجهه ويديه وارتدى ثيابه وتناول غذاءه وذهب الى المدرسة بقدم ثابتة ورأي سديد ونفس موطدة على نيل الرقي .

في اليوم الثاني . شرح ذلك الولد دروسه لاستاذه شرحا وافيا ، فاعجب به المعلم واثنى عليه فزاده ذلك تشجيعا فنهضت همته واحترمه رفقاؤه اذا على كل فتاة وفى أن ينظر لمستقبله بعين الحكمة . كما فعل ذلك الولد بعد كله التعجيب . فليس لانسان أجد في مستقبله الا ربه وعقله

الين عاقل

قال الشاعر

لا تدخر غير العلو م فانها نعم الذخائر
فالمرء لو ربح البقا ء مع الجهالة كان خاسر

وقال آخر .

مالي عقلي وهمتي حسبي ما أنا مولى وما أنا عربي
اذا انتمى منتم الى احد فانني منتم الى أدبي

وقال آخر

جهلت ولم تدر بأنك جاهل ومن لي بأن تدري بأنك لا تدري